كيف اهتدت أمي
نجمة الإغراء الشهيرة

تأليف

عبير بنت محمد عبد الواحد

دار العقيدة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

الإيـــداع: ٤٨٦٨ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى: 3 - 039 - 347 - 977

دار العقيدة

الأسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ - ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القـــاهـــرة: ٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

كيـف اهتـدت أمـــى

نجمـة الإغـراء الشهـيـرة إلـى الإسـلام

هذه القصة التى بين أيديكم هى قصة حقيقية عن نجمة سينمائية مصرية شهيرة، ورحلتها من الحياة العابثة إلى دنيا النور والإيمان ودور ابنتها الوحيدة فى هدايتها .

ولقد صغت هذه القصة بإسلوبى على لسان ابنتها .

عسى أن تستمتعوا بها وتستفيدوا منها. وعسى أن يختم الله بالصالحات أعمالنا .

عبير محمد عبدالواحد

Abeermohammed@hotmail.com

تفتحت عيناى على خالة رائعة كانت بالنسبة لى بمثابة الأم الحنون، وزوج خالة فاضل، وأولاد وبنات خالة كانوا يكنون لى الحب الصادق .

كان بيت خالتى قديماً صغيراً فى منطقة شعبية، إلا أن الراحة والدفء المنبعثين من جنباته كانا يعطيانى إحساساً بأنه رحب، وبأن كل ركن من أركانه يستوعبنى فى حنان .

وحينما كبرت شيئاً فشيئاً أحببت أسرتى أكثر وأكثر .

كانت خالتى وزوجها يداومان على صلاة الفجر وعلى إيقاظ أبنائهما ليؤدوا الصلاة جماعةً .

ولقد حرصت على الوقوف معهم وتقليدهم منذ أن كان عمرى خمس سنوات .

كان زوج خالتى حافظاً للقرآن الكريم، وكان صوته شجياً عذباً .

وكـان رجـلاً مـتـدفـقـاً بـالحنان والعطاء وخـاصـة بالنسبة لى.

وكان يعتبرنى آخر أبنائه، وكان يداعبنى دائماً ويقول : آخر العنقود سكر معقود!

وفى الأعياد كانت تزورنا سيدة جميلة أنيقة، وهى تحمل الكثير من الهدايا لى . وكانت تحتضنى وتقبلنى فأقول لها : شكراً ياطنط !

فتضحك قائلة :لا تقولى طنط . قولى دودو!

وعندما بلغت السابعة علمت أن (دودو) هى أمى وأن عملها يستغرق كل وقتها، ولذلك اضطرت أن تتركنى عند خالتى . .

وعندما تساءلت عن أبى علمت أنه قد لقى حتفه فى حادث سيارة عندما كان عمرى عامين .

وفى يوم عيد ميلادى الثانى عشر حدث ما غير مسار حياتى .. لقد جاءت أمى ذلك اليوم وحزمت حقائبى وأصرت على أن تصطحبنى إلى بيتها .

بكيت ... توسلت إليها أن تتركنى لأعيش مع خالتى . لم أكن أتخيل أبداً أن أبعد عن البيت الذى شهد أول خطواتى فى الحياة .

حاولت خالتى أن تقنعها، وقالت لها : دعيها معنا وأنا على استعداد أن أحضرها لكِ كل يوم .

لكن أمى رفضت، وقالت : هذه ابنتى ومن حقى أن تعيش معى .

صمتت خالتى ولم تستطع الرد ثم احتضنتنى وحاولت التسرية عنى، وقالت : لا تبكى يا صغيرتى . سوف أزورك دائماً، وسأكون إلى جوارك متى احتجتِ لى.

أدركت أنه لا فائدة من محاولاتى اليائسة، فسلمت بالأمر الواقع واحتضنت أخواتى من خالتى وأنا أبكى وهن يبكين أكثر منى !

تلفَّتُّ برأسى وبحثت بعينى عن زوج خالتى فلم أجده ..

ذهبت إلى غرفته لعلى أجده هناك إلا أنه لم يكن موجوداً بها .

بحثت عنه فى أرجاء الشقة وأخيراً وجدته ...

كان فى غرفتى التى كنت أعيش فيها مع بناته . كان يجلس على سريرى ويحتضن دميتى .

قلت له بصوت خافت : سوف أذهب الآن يا عمى مع أمى.

نظر لى ولأول مرة فى حياتى ألمح الدموع فى عينيه فقلت : هل تبكى يا عمي ؟! فقال بصوت متهدج : لا، لا يا حبيبتى. ثم ضمنى بقوة إلى صدره .

وقال : أقسم لكِ أنكِ عندى أغلى من أولادى . إننى أحبك كثيراً يا ابنتى وكم تمنيت أن أكون بالفعل والدك . ويبدو أننى صدّقت نفسى !

حبيبتى . ربما لن تفهمى الآن ما سأقوله لكِ . لكن ضعى كلامى فى ذاكرتك دائماً . سوف تعيشين منذ اليوم فى بيت مختلف وفى ظروف مختلفة عما عشتِ عليه من قبل، وأنا أريدك قوية وأنتِ بالفعل كذلك طالما أنكِ قريبة من خالقك .

ثم أعطانى المصحف الذى كان يقرأ منه دائماً وقال : حافظى عليه يا ابنتى .

وانتقلت مع أمى إلى بيتها ... كان بيت أمى أنيقاً فسيحاً فى منطقة المهندسين . وكان لديها جيشٌ من الخدم والحرس والمعاونين .

وكان جميع من يحيطون بها يتسابقون لتلبية أوامرها وكأنها ملكة متوجة !

ورغم كل مظاهر الثراء المحيطة بى إلا أننى شعرت بالغربة، وأحسست وكأنى جزيرة منعزلة فى قلب المحيط !

ورغم أن أمى كانت تلاطفنى وتداعبنى فى فترات وجودها القليلة بالمنزل ، إلا أننى كنت أشعر وأنا بين أحضانها أننى بين أحضان امرأة غريبة عنى .

حتى رائحتها لم تكن تلك الرائحة التى كنت أعشقها وأنا بين أحضان خالتى.

كانت رائحتها مزيجاً من رائحة العطور والسجائر ورائحة أخرى غريبة علمت فيما بعد أنها رائحة الخمر!

وبعد فترة قصيرة من إقامتى معها سألتها عن نوعية ذلك العمل الذى تمارسه ويشغلها عنى معظم الوقت، فنظرت لى فى تعجب كأنى مخلوق قادم من المريخ وقالت: ألا تعلمين أنى أعمل ممثلة؟ ألم تخبرك خالتك؟ فأجبتها بالنفى.

فقالت : بالطبع لم تخبرك فهى لا ترضى عن عملى . إنها تعتبره حراماً . كم هى ساذجة!

إن الفن الذى أمارسه يخدم رسالة نبيلة . إنه يهذب الوجدان ويسمو بالشعور.

ثم جذبتنى من يدى للصالون وقالت : سوف أجعلك تشاهدين كل أفلامى. ووضعت شريطاً فى الفيديو . وجلست لأشاهد ولأول مرة فى حياتى فيلماً لها.

كان الفيلم يتضمن مشاهد كثيرة لها بالمايوهات الساخنة وبأقمصة النوم الشفافة، ومشاهد عديدة تحتضن فيها رجلاً وتقبله قبلات مثيرة.

لم أكن قد شاهدت شيئاً كهذا من قبل، حيث كان زوج خالتى يمارس رقابة شديدة على ما نشاهده فى التلفاز. وكان يأمرنا أحياناً بغلقه حينما تأتى بعض المشاهد، ويغلقه تماماً حينما تأتى بعض الأفلام والتى علمت فيما بعد أنها كانت من بطولة أمى .

لم أعرف ماذا أفعل وأنا أشاهد أمى فى تلك

الأوضاع. كل ما استطعت القيام به هو الانحناء برأسى والنظر إلى الأرض . أما هى فقد ضحكت علىَّ من أعماقها حتى طفرت الدموع من عينيها!

وكبرت وأصبحت فى الثامنة عشرة من العمر، وحرجى من مشاهد أمى يزداد، ومشاهدها تزداد سخونة وعرياً ، ونظرات زملائى لى فى مدرستى المشتركة تقتلنى فى اليوم ألف مرة.

كانوا ينظرون لى كفتاة رخيصة سهلة المنال، رغم أننى لست كذلك ولم أكن أبداً كذلك . على العكس . كنت حريصة منذ صغرى على أداء فروض دينى وعلى اجتناب ما نهى الله عنه.

وكنت أشعر بالحزن العميق وأنا أرى أمي وهي تشرب الخمر في نهار رمضان.

وأشعر بالأسى وأنا أراها لا تكاد تعرف عدد ركعات كل صلاة . لقد كان كل ما تعرفه عن الإسلام الشهادتين فقط!

لعل هناك من يريد أن يسألني الآن : لماذا لم تعترضي عليها حينما كنتِ في ذلك العمر ؟

من قال إنني لم أعترض ؟! لقد صارحتها مراراً وتكراراً بأن أسلوبها في الحياة لا يرضيني، وتوسلت إليها أن تعتزل التمثيل وأن تبحث عن عمل آخر. فكانت تسخر مني أحياناً . وأحياناً تتظاهر بالموافقة على طلبي. وأحياناً تثور عليَّ وتتهمني بالجحود وتقول: ماذا تريدين بالضبط؟

إننى أعاملك كأميرة. لقد اشتريت لك المرسيدس رغم أنك مازلت فى الثانوية. كل فساتينك من أوروبا . كل عام أصطحبك إلى عواصم العالم . باختصار كل أحلامك أوامر !

وحينما أرد قائلة : حلمى الأكبر أن أراك محتشمة كما أرى كل الأمهات.

تصيح قائلة : المشاهد التى لا تروق لك هى التى تكفل لك هذه الحياة الرغدة التى تنعمين بها والتى تحسدك عليها كل البنات. لكنك عمياء لا تستطيعين الرؤية!

وأمام رغبتها الجامحة للأضواء والشهرة والمال أضطر إلى أن أبتلع اعتراضى فى مرارة .

ولم أكن أجد ملاذاً يحتوينى ويخفف عنى ما أعانيه إلا فى حضن خالتى، وفى المسجد القريب من المنزل حيث

كانت الدروس الدينية التى أتلقاها فيه تمنحنى قدراً هائلاً من القوة والثبات .

وحينما اقترب عيد ميلادى العشرون سألتنى عن الهدية التى أريدها. فقلت : رحلة إلى المكان الذى لم نزره من قبل .

فاندهشت وقالت : وهل هناك مكان فى العالم لم نزره؟!

قلت : نعم يا ماما . نحن لم نزر مكة .

فتجمدت للحظات ثم تمتمت: مكة!

فنظرت إليها فى توسل وقلت: أرجوكِ يا ماما لبى لى هذا الطلب.

فابتسمت وقالت : وهل أستطيع أن أرفض لكِ طلباً يا حبيبتى !

وكانت رحلتنا إلى الأراضى المقدسة!

إننى لا أستطيع أن أصف شعورى حينما وطأت قدماى الأرض الطاهرة. كان إحساسى وكأنى أمشى على السحاب! كانت الفرحة تغمرنى وشعورٌ بالهيبة يكتنفنى .

وحينما رأيت الكعبة لأول مرة انهمرت الدموع من عينى ووجدت لسانى يردد: ﴿ **اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون** ﴾ آلاف المرات .

وجاءنى هاتف يؤكد لى أن الله تعالى قد استجاب لدعائى وأنه سيصلح من أحوال أمى . وتعجبت كيف

جاءنى ذلك الهاتف على الرغم من أن أمى كان يسيطر عليها الشعور بالملل طيلة الفترة التى قضيناها بمكة.

وأدينا العمرة وعدنا إلى القاهرة وارتديت الحجاب . واندهشت هى من تلك الخطوة ولم تعلق عليها فى البداية وانشغلت فى تصوير بعض الأفلام والمسلسلات.

وحينما انتهت منها وتفرغت لى قليلاً بدأ الصدام بيننا.

كانت ترمقنى بنظرات ساخرة، وتقول: ما هذه العمامة التى ترتدينها؟ ما هذا التخلف؟!

هل صار لديك ستون عاماً حتى ترتدى هذا الحجاب؟!

ماذا سيقول عني الناس وأنا أسير بجانبك؟

طبعاً سيقولون إنني أصبحت أم الحاجة!

أنا التي أمثل دور الحبيبة حتى الآن أصبح أم الحاجة ؟!

ما الذي سأفعله بفساتينك التي أحضرتها لكِ من أوروبا ؟

هل أسكب عليها بنزين وأحرقها ؟!

ذات مرة واتتني الشجاعة وقلت لها : أنا على استعداد أن أعيش مع خالتي حتى لا أسبب لكِ حرجاً .

وكأني نطقت كفراً، ثارت وهاجت وصرخت قائلة : زوج خالتك رجل فقير لن يستطيع الإنفاق عليك. وأقسم لكِ لو غادرتِ بيتي فلن أنفق عليكِ مليماً واحداً، أنا لم أربكِ حتى تتركيني.

فقلت: حسناً. دعينى أعيش حياتى بالأسلوب الذى يرضينى.

فنظرت إلىَّ فى حدة ثم قالت فى سخط : أنت حرة!

ومر عام على تلك المناقشات الساخنة والعلاقة بيننا فى فتور حتى حدث تغير مفاجئ عليها بعد عودتها من تصوير أحد أفلامها فى أمستردام.

لقد أصبح الحزن يكسو ملامحها والقلق يفترسها . أمرتنى ألا أقود السيارة بنفسى خوفاً على حياتى واستأجرت لى سائقاً خاصاً .

صارت لا تنام الليل إلا وأنا بين أحضانها ! . وحينما كنت أسألها عن سر هذا الحزن والقلق كانت تصطنع

ابتسامة وتقول: ليس هناك حزن أو قلق .

وحاولت أن أعرف سر هذا التغير من مديرة أعمالها ، والتى كانت تلازمها كظلها .

وبعد ضغط وإلحاح منى قالت : حدث موقف غير ظريف فى أمستردام.

لقد قابلت والدتك ابن عمها المهندس أحمد هناك بالصدفة . كان يعقد إحدى الصفقات لشركته .

وعندما اقتحمت عليه المكان لتصافحه قال لها فى جفاء: إنه سيئ الحظ أمام هذه المصادفة، وإنها صديقة للشيطان. وإنها بأفلامها تثير غرائز الشباب، وإنها تدمن الخمر ولا تستر عوراتها.

ثم قال: أنا أعلم أن روحك فى ابنتك الوحيدة. احذرى أن ينصبَّ غضب السماء على ابنتك لتكتوى أنتِ بنارها!

حينما أنهت مديرة الأعمال حديثها معى كنت أشعر وكأن أحداً ضربنى بمطرقة فوق رأسى. كان قريبنا محقاً فى نهيه لها عما تفعله من منكر. لكنه كان قاسياً وغير عادل حين هددها بأن يحل انتقام الله فىَّ، لأن الله تعالى لا يأخذ أحداً بجريرة آخر. ألم يقل فى كتابه الكريم: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الأنعام:164)؟

وانهرت من البكاء ورثيت لحالها ولحالى .

بعد عدة شهور حدث ما لم يدر بخلدى فى يوم من الأيام ! باغتتها أزمة صحية عنيفة . وأوصى الأطباء بضرورة سفرها إلى لندن لإجراء عملية خطيرة لازمة لإنقاذ حياتها .

وسافرت معها إلى هناك وحالتى النفسية فى الحضيض .

وقبل لحظات من دخولها غرفة العمليات أمسكت بيدى وقالت: أنا أعلم مدى عمق صلتك بالله، وأعلم أننى لا أستحق ابنة طاهرة مثلك، وأننى أسأت إليك كثيراً بأفعالى .

لكن أرجوكِ ادعِ الله لى بالرحمة لو خرجت من الغرفة وقد غادرتنى الحياة .

وهنا وجدت نفسى أبكى بعنف. وأنحنى وأقبل يدها. وأرتمى برأسى فوق صدرها وأقول : ستعيشين ياماما. ستعيشين لأنى أحتاجك، ولأن الله لن يحرم ابنة من أمها!

كنت أرتجف وأنا أقول هذه الكلمات . لم أكن أعلم أننى أحب أمى إلى هذه الدرجة .

كان غضبى من تصرفاتها يضع غشاوة على عينى ويجعلنى لا أدرك كل هذا الحب الذى يكنه قلبى لها .

ووثبت أمامى الذكريات وهى تدللنى وتلبى لى جميع طلباتى حتى و لو كانت على غير رغبتها !

وتذكرت خوفها علىّ حتى من نسمة الهواء !

وتذكرت دأبها على إعادة الابتسامة لى كلما أحست بى حزناً أو هماً .. وتوسل قلبى إلى الله بأن يشفيها، وبأن يمنحها فرصة أخرى حتى تذوق نشوى طاعته .

ابتسمت لى أمى وكأنها قرأت كل ما يجول فى خاطرى، وقالت : لو عشتُ فسوف أعلن لكِ عن مفاجأة!

ونجحت العملية وعدنا إلى القاهرة، وسألتها عن تلك المفاجأة . فنظرت إلىَّ نظرة طويلة فى حنان، ثم قالت: المفاجأة هى إقلاعى عن الخمر والسجائر كمرحلة أولى تتبعها مراحل أخرى! قفزت من السعادة واحتضنتها وطبعت قبلاتى حيثما طالت شفتاى فوق وجهها وعنقها وذراعها!

كم كنت أتمنى أن تبدأ أمى هذه الخطوة !

وبدأت أمى تؤدى فريضة الصلاة، وتسألنى عن مقدار الزكاة، وعما خفى عليها من أمور دينها، وأنا أجيبها فى سعادة.

لكن دوام الحال من المحال ! فلم يمض شهر على تحسن أحوالها حتى عادت إلى سيرتها القديمة مرة أخرى، ووجدتها ذات يوم عائدة إلى البيت فى الرابعة صباحاً وهى تترنح من الخمر ومديرة أعمالها تسندها وتمنعها من الوقوع على الأرض.

فصرخت فيها والمرارة تعتصرنى : خمر مرة أخرى!

وأشارت لى مديرة الأعمال بأن أساعدها لإيصالها إلى غرفتها. فاتجهت إلى غرفتى وصحت بأعلى صوتى : إذا كانت هى لا تساعد نفسها فلن يستطيع أحد مساعدتها.

وصفقت باب الغرفة بعنف. وبعد قليل دخلت غرفتي مديرة الأعمال وقالت: أنا أعلم أن حالتك النفسية الآن سيئة. لكن صدقيني هذه أول مرة تعود فيها إلى الخمر منذ الوعد الذي قطعته على نفسها.

لقد كنا في حفل عيد ميلاد زوجة نجم من كبار نجوم الصف الأول، وظل ذلك النجم يسخر من إقلاعها عن الخمر، ويقسم بالطلاق أن يحتسي معها ولو كأس واحدة.

في البداية رفضت. لكن كبار المدعوين صفقوا لها بحرارة حتى تشجعت وشربت كأس الويسكي، والكأس جر كؤوساً أخرى وراءه.

صدقيني أمك تتمنى أن تتغير، ولذلك أرجوكِ أن تقفي بجانبها.

حاولت أن أتشبث بكلمات مديرة الأعمال . وأن أقنع

نفسى بأنها تجاهد نزواتها حتى كانت سلسلة أفلامها الأخيرة بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير!

سلسلة أفلامها الأخيرة كانت تتضمن قدراً كبيراً ومبالغاً فيه من الإثارة .

ولقد دفعتنى الضجة التى أحدثها آخر أفلامها، والحملة الصحفية التى شنتها الصحف المحترمة ضده إلى الذهاب إلى إحدى دور العرض لمشاهدته .

ويا ليتنى ما شاهدته . كان الفيلم أقذر ما رأيت فى حياتى.

كانت أمى تمثل فيه دور امرأة تتورط فى إحدى الجرائم وتدخل السجن.

وهنا يتحول الفيلم إلى وصف تفصيلى لما يحدث داخل سجن النساء من انحرافات وشذوذ جنسى .

وكانت مشاهد الانحرافات والشذوذ صريحة جداً وبشكل مقزز أثار عندى الغثيان والاكتئاب .

وخرجت من السينما وأنا لا أدرى ماذا أفعل ؟ هل أطلق صرخاتى المكتومة فى الشارع ؟!

هل أهاجر إلى أبعد دولة فى الكرة الأرضية؟!

وعدت إلى المنزل بعد أن همت بسيارتى فى كل شوارع القاهرة . وهناك وجدتها تتناول كأساً من الخمر.

وحينما رأتنى بادرتنى بالقول : أين كنتِ يا حبيبتى؟ لقد قلقت عليكِ.

فنظرت إليها وأنا أكاد أن أخنقها بعينى وصحت قائلة: كنت أشاهد آخر فضائحك!

هبت واقفة وقالت :كيف تحدثينى بهذه اللهجة وأنا أمك؟

فقلت والشرر يتطاير من عينى :ليتك لم تكونى أمى ولم أكن ابنتك . ألم يكفكِ استهتاركِ وسكركِ فتقومى الآن بتمثيل فيلم رخيص يخاطب غرائز المنحرفين والشواذ ؟!

لقد وضعتِ أنفى فى التراب . أنتِ أسوأ أم رأيتها فى حياتى .

رفعت أمى يدها ثم هوت بها على وجهى فى صفعة قاسية.

تجمدت من الذهول للحظات . وبعد أن زال الذهول شعرتُ أننى سأموت كمداً لو مكثت فى البيت لحظة واحدة، فغادرته وتوجهت إلى مسجد قريب منه .

وفي المسجد تناولت مصحفاً وجلست أقرأ وأقرأ والدموع تتساقط من عيني بغزارة، حتى بللت دموعي صفحات المصحف. كان الشعور باليأس قد استولى عليَّ. ولم أفق إلا على صوت أذان العشاء. ونهضت لأقف بين الصفوف وأصلي. ووجدت الإمام يتلو في الصلاة هذه الآيات : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ . . . ﴾(الحديد:16) إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(الحديد:17) .

وسرت في جسدي قشعريرة غريبة وأحسست وكأن الله عز وجل يخاطبني بهذه الآيات ليزيل ما بي من هم ويأس .

نعم إنه يخاطبني ويقول : اعلمي أنه كما أحيي الأرض الميتة بالغيث، فكذلك أنا قادر على إحياء القلوب

القاسية كقلب أمك ، وتطهيره بنور الإيمان . وبدأت السكينة تدب فى قلبى .

وعدت إلى البيت . وقبل أن أصل إلى غرفتى رن الهاتف فأجبت . ووصل إلى سمعى صوت خالتى وهى تسألنى بلهفة : أين كنتِ يا حبيبتى ؟ أمك تبحث عنكِ فى كل مكان.

قلت : كنت فى المسجد .

فقالت : سوف آتى إليكِ حالاً .

وبعد نصف ساعة جاءت خالتى، وعندما رأتنى ضمتنى إلى صدرها فى حنان وقالت : هل أنتِ بخير يا ابنتى ؟ قلت : نعم . أنا بخير .

فجلست وقالت : ما الذى حدث بينك وبين والدتك؟ إننى لم أرها قط منهارة هكذا . لقد جاءت بيتى وهى منخرطة فى بكاء مرير . كانت تظن أنكِ عندى وأننى أخفيكِ عنها فى مكان ما بالمنزل .

ورغم أننى أنكرت ذلك إلا أنها اندفعت للبحث عنكِ فى كل ركن من أركان الشقة وهى تردد اسمك بصوت مزق قلبى .. كان صوتها كصوت إنسان يغرق ويستغيث !

وعندما حاولت أن أعرف منها ما الذى حدث لم أفهم شيئاً، فلقد كانت كلماتها وسط بكائها غامضة مبهمة .

ولكننى أدركت من كلماتها المتناثرة أن ثمة خلاف حدث بينكما .. أليس كذلك يا حبيبتى؟

تسارعت دقات قلبى بعنف وأحسست بأننى ذبحت أمى بكلماتى القاسية والتى لا أعرف كيف استطاع لسانى أن ينطق بها .

لقد كانت كلماتى كأنها حمم مندفعة من بركان . حمم لا تعلم إلى أين تنطلق . وماذا ستحرق ؟!

قلت لخالتى وأنا فى توتر شديد : وأين أمى الآن ؟

فقالت : لا تخافى . لقد ذهب زوجى معها للبحث عنكِ . ولن يتركها وهى فى حالتها تلك .

وساد الصمت للحظات ثم قالت : اسمعى يا ابنتى . أنا لا أعلم ما الذى دار بينكما بالضبط . لكننى أشعر بأنكما تشاجرتما معاً بشأن عملها . إننى لن أنسى ....وقطع حديثها رنين الهاتف فأسرعت إليه والتقطت السماعة . وكان زوج خالتى المتصل .

وصاح فرحاً عندما سمع صوتى وأخذ يردد : الحمد لله .. الحمد لله . ثم سمعته يُطمئن أمى . ثم أغلق الخط .

وبدأت أهدأ بعد أن اطمأننت عليها، فقالت خالتى: إننى لن أنسى قط وجه أمك عندما أتتنى .

لقد كان وجهها كوجه شخص تنسحب منه الروح ويفقد كل ما يربطه بالحياة !

يبدو أن والدتك كانت تظن أنها لن تراك أبداً بعد الخلاف الذى حدث بينكما ولذلك كانت محطمة تماماً .

فترقرقت عيناى بالدموع وقلت : لقد كنت أنوى فعلاً أن أترك لها البيت، بيد أن قلبى لم يطاوعنى على ذلك .

إننى يا خالتى أذوب فيها حباً .

فاحتضنتنى بابتسامتها العذبة وقالت : وهى الأخرى تحبك بجنون !

ثم نهضت وقبلتنى وقالت : سوف أعود إلى منزلى الآن فلقد تأخرت . هل تريدين شيئاً يا حبيبتى ؟

فتعلقت عيناى بها وقلت : انصحينى يا خالتى وقولى لى ماذا أفعل مع أمى؟ فابتسمت وقالت: لن أقول شيئاً لأن إنسانة مثلك لابد أن تكون عالمة بالجواب !

وقفت فى شرفة غرفتى أنتظر قدوم أمى بفارغ الصبر .
ومرت علىّ الدقائق بطيئة ثقيلة وكأنها دهر من الزمان ..

وأخيراً رأيت أمى وهى تنزل من سيارتها أمام المنزل فتنفست الصعداء وأسرعت إلى الفراش واستلقيت عليه .
ووجدت أمى تفتح باب غرفتى فأغمضت عينى .

لم تكن لديَّ الرغبة أو القوة على مواجهتها بعد ما حدث بيننا .

جلست أمي على طرف الفراش وأخذت تمسح على شعري بيدها في حنان . وظلت جالسة بعض الوقت . ثم قبلتني على رأسي وأحكمت الغطاء على جسدي ثم غادرت الغرفة في هدوء .

وعندما أغلقت الباب دعوت الله من كل قلبي أن يغفر لي وأن يهدي أمي إلى كل ما يحب ويرضى . وهنا وجدت صوت الشيخ الذي صلى بي صلاة العشاء يتسلل إلى أعماقي وهو يردد الآية الكريمة : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ (الحديد:17)، فأيقنت أنها بشرى من الله تعالى لي فسلمت أمري إليه واستسلمت للنعاس .. ونمت كما لم أنم من قبل ...

وفى الصباح وجدتها تجلس فى غرفة المعيشة. كان وجهها حزيناً ونظراتها شاردة .

توجهت إليها وانحنيت على يدها أقبلها .

نظرت لى والدموع تملأ مقلتيها، وقالت لى بصوت مخنوق: تقبلين يدى بعد أن ضربتك بالأمس؟

فقلت : أنتِ أمى ومن حقك أن تؤدبينى.

فقالت : لا والله . لست أنتِ من يستحق التأديب. ولست أنا من يستحق ابنة طاهرة مثلك .. ثم قامت وغادرت المنزل .

وأدركت أن أمى ومنذ هذه اللحظة قد تغيرت . وأن قلبها بدأ يلين، وأن نور الإيمان بدأ يتسرب إليها، فبدأت أكثف كل جهدى فى دعوتها . وأخذت أحكى لها كثيراً عما يدور فى دروس العلم التى أواظب عليها فى المسجد،

وبدأت ألح عليها لتصطحبنى إلى مجالس العلم لحضور الدروس الدينية، وأدير جهاز التسجيل الموجود فى غرفتى ليرتل آيات من الذكر الحكيم على مسامعها ..

كانت أمى فى البداية تنصت باهتمام لهذه الآيات الكريمة . لكنها بعد ذلك أصبحت تنصت فى شغف وكأنها تنهل من بئر عذب طالما عانت من الظمأ لمائه !

وأصبحت تتحين الفرص وأنا أتلو القرآن الكريم لتأتى وتضع رأسها على ركبتىَّ وتغمض عينيها لتحلق مع الآيات فى أفق رحيب .

انهالت عليها الكثير من العروض السينمائية فى تلك الفترة وبأجور مغرية جداً فرفضتها بلا تردد، وانهمكت فى قراءة الكتب الدينية فى ولع شديد وكأنما تعوض كل ما فاتها ..

حتى كانت اللحظة التى ارتدت فيها الحجاب، حين دعوتها لحضور مجلس علم بمنزل إحدى الفنانات المعتزلات .

ورحبت أمى بدعوتى ودخلت غرفتها لارتداء ملابسها ، ولم أتمالك نفسى من الفرحة عندما رأيتها وقد وضعت على رأسها طرحة بيضاء .

لقد كانت الطرحة كأنها تاج من السماء توجت به نفسها.

وطلبت منى فى فجر ذلك اليوم أن أصلى بها . وبعد أن قرأت فاتحة الكتاب فكرت هنيهة فيما سأتلوه من آيات. ووجدت الله تعالى يهدينى إلى أن أقرأ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ

جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِين فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران:135-136).

وبمجرد أن تلوت هاتين الآيتين حتى وجدتها تجهش بالبكاء وتنتحب، ويهتز جسدها كله من شدة الانفعال . وخشيت عليها فأتممت الصلاة واحتضنتها لأهدأ من روعها.

وكالطفل المتعلق بأحضان أمه تشبثت بي . فقلت لها : سأحضر لك كوباً من عصير الليمون .

فتشبثت بي أكثر وقالت : لا. أريد أن أتحدث معك وألقي بالهم الذي يرزخ فوق صدري.

قلت : حسناً يا أمي تحدثي.

بعد تنهيدة حارقة تحدثت أمي فقالت : عندما بدأت رحلتي مع الفن كنت أبعد ما أكون عن الله .

لم يكن يشدنى إلى الحياة سوى المال والشهرة وقصص الحب .

ومع الأيام زادت نجوميتى . لكن إحساساً غريباً بدأ ينتابنى .

كنت أشعر وأنا فى قمة المجد بأنى أيضا فى قمة الوحل.

كثيراً ما أحسست برغبة عارمة فى أن أحمل سوطاً وأجلد نفسى. وكم وقفت أمام المرآة وأنا فى أبهى زينة ثم تمنيت أن أبصق على وجهى .

كانت أمى تتحدث والدموع تتهادى فوق وجنتيها فقلت لها : إن كل دمعة تغسل ذنباً وتطهرها من خطيئة . ثم دعوتها أن تكمل حديثها فاستطردت قائلة: عندما أصابنى المرض وذهبت إلى لندن لإجراء العملية، تخيلت

نفسى ألفظ آخر أنفاسى وأعود إلى القاهرة داخل صندوق جثة بلا حياة .

وسألت نفسى: ماذا سأقول للملائكة فى القبر وهم يسألونى عن حياتى العابثة التى لا يحكمها العقل أو المنطق؟

لكن كان عشقى لنفسى وللأضواء المبهرة أكبر من وخزات الضمير. فبمجرد أن منَّ الله علىَّ بالشفاء حتى عدت إلى الوحل مرة أخرى .

وذات مرة استوقفنى أحد الأشخاص وقال لى : أى عورة سترتها يا نجمة يا ساطعة؟!

احذرى أن ينصبَّ غضب السماء على ابنتك لتكتوى أنتِ بنارها !

وكأنه رماني بجمرات من جهنم. طار النوم من عيني بعد كلماته المسمومة، وظل شبح الانتقام الإلهي يطاردني.

كنت أنظر إليكِ وأسأل نفسي : ماذا لو أصابك لا قدر الله مكروه وأنت نور عيني ؟

بالطبع كنت سأنتحر.

هكذا صنع ذلك الشخص عقدة لم تنفك عني أبداً .

كنت كلما أذهب إلى البلاتوه تقفز صورتك أمامي وأسمع كلمات ذلك الرجل كأنه ينطق بها في التو فأبكي وتقتلني الهواجس .

لقد كنت أتعذب عذاباً أليماً يفوق احتمال البشر .

حتى جاءت اللحظة التي صارحتيني فيها بسكري واستهتاري.

لقد كانت لحظة رهيبة نزعتِ فيها القناع الذى أخدع به نفسى من على وجهى ووضعتينى أمام حقيقتى المرة.

لحظتها لم أستطع أن أتحمل رؤية نفسى على حقيقتها فضربتك .

وبعد أن ضربتك صرخت فى نفسى : ألهذه الدرجة وصل بى الغرق فى الوحل؟!

ألهذه الدرجة توحشت حتى أتطاول بيدى وأؤذى قلبى وروحى وأغلى الناس عندى؟!

ماذا تبقى لى من سوء لم أفعله؟!

وعندما انحنيتِ على يدى لتقبليها على الرغم من إساءتى لكِ تمنيت لو أن الأرض تنشق وتبلعنى من أمامك.

لقد شعرت لحظتها بأننى صغيرة وتافهة جداً ، وأنكِ كبيرة ونبيلة جداً.

شعرت بأننى أذوب وأتلاشى أمام طهارتك وقلبك الكبير !

لحظتها كنت أتوق إلى أن أجثو على ركبتىَّ وأقبل أطراف أصابعك وأقول لكِ: سامحينى يا ابنتى . سامحينى يا أغلى ما فى حياتى.

لكن كبريائى منعنى من أن أفعل ذلك. لكنه لم يستطع فى نفس الوقت أن يكتم الصوت الذى صرخ من أعماقى قائلاً: يا إلهى بدلاً من أن أشكرك على أنك قد وهبتنى ابنة صالحة لم تشب طهارتها شائبة رغم كل ما يحيط بها، أبيع حياتى بهذا الثمن الرخيص ؟!

ملعونة الأضواء . ملعونة الشاشة . ملعونة الأموال .
أنا أبحث عن الطريق إلى الله.

كانت كل كلمة من كلمات أمى تنبض بالصدق والإيمان، فقلت لها بعد أن أنهت حديثها : أنا أعلم أنكِ راغبة حقاً فى الرجوع إلى الله . لكن أصارحكِ القول. أنا أخشى أن تخذلينى مرة أخرى.

فقامت وتشبثت بيدى كالغريق الذى يتعلق بحبل نجاته وقالت: لا تخافى . أنا مصممة هذه المرة على مواصلة الطريق إلى الله حتى آخر لحظة فى حياتى . كل ما أرجوه منكِ أن تستمر مؤازرتك لى .

ولقد صدقت وعدها . ولم تخذلنى بعد ذلك أبداً .

وأصبح شغلها الشاغل العبادة والاستغفار والعطف

على الفقراء والدعاء ليلاً ونهاراً بأن يقبض الله روحها في شهر رمضان .

وبعد عدة سنوات من اعتزالها التمثيل وفي يوم من أيام شهر رمضان المبارك وبعد أن أدينا صلاة الفجر تبادلنا حديثاً عذباً ملؤه التفاؤل والبهجة .

لم تكن أمي ترغب في التوقف عن الكلام وكأنها تفرغ كل ما بداخلها من حديث ! وسألتني : هل أنتِ راضية عني الآن ؟

باغتني سؤالها فنظرت إليها في تعجب وقلت: المفروض أن أسألك أنا هذا السؤال وأقول لكِ: هل أنتِ راضية عني يا أمي؟ فابتسمت ابتسامتها الرائعة التي تحتضن بها الدنيا وقالت: طوال عمري وأنا أشعر بأنكِ أمي وأنني ابنتك! وعندما كنت أقع في أخطاء، لم أكن

أجرؤ على أن أنظر إلى عينيكِ. لقد كانت نظرة العتاب منهما أكبر عقاب لى.

أخذت أقبل يدها وأقول : يشهد الله أننى راضية عنكِ، وأننى لم أكن أتمنى لنفسى أماً أعظم منكِ .

فاتسعت ابتسامتها وقالت : لا أريد شيئاً من الدنيا بعد كلماتك هذه . الآن أستطيع أن أقول إنه لو جاءنى الموت فى أية لحظة فلن أخشى منه.

فزعتنى كلماتها فاحتضنتها بشدة وقلت: لا تقولى ذلك. بارك الله فى عمرك. فوضعت وجهى بين راحتيها ونظرت لى فى حنان وقالت : وهل يكره الإنسان لقاء حبيبه ؟!

صَمَتَتْ .. ودفنت رأسى فى صدرها . وغفوت.

وعندما تفتحت عيناى على نور الصباح رفعت رأسى من على صدرها ونظرت إلى وجهها فوجدت الابتسامة الملائكية ما تزال ترتسم عليه .

همست باسمها حتى تستيقظ فلم تسمعنى .

رفعت صوتى قليلاً فلم تحرك ساكناً .

وبدأت أشعر بالقلق فهززتها برفق ولا إجابة فصرخت .. لقد أسلمت روحها البريئة الطاهرة إلى بارئها ... ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ كم أحببت ياأغلى الناس عندى هذه الآية الكريمة، وكم كنت ترددينها كثيرا فى أيامك الأخيرة .. والله يشهد أنك كنت حقاً نفساً مطمئنة ...